

مراحل جمع اللغة من الطبيعي أن تنشأ الدراسات اللغوية الخالصة ضعيفة ثم تنمو شيئاً فشيئاً ثم بعد ذلك تصل إلى مرحلة النضج والاكتمال ، هنا فقط ظهرت المعاجم أما بادىء ذي بدء فلم تسكن المعاجم وإنما كانت رسائل لغوية صغيرة ذات اتجاهات مختلفة ويمكننا القول بأن الدراسات اللغوية سارت ١ في مراحل ثلاث : المرحلة الأولى : جمع الكلمات حيثما انفق . جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد . والذي دعا إلى هذا في اللغة - على ما يظهر - أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى فأرادوا تحديد معانيها فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد وتوجت هذه المرحلة يكتب تألف في الموضوع الواحد فألف أبو زيد الأنصاري (توفي سنة ٥٢١٥) كتاباً في المطر وكتاباً في اللبن وألف الأصمعي (توفي سنة ٥٢١) كتاباً كثيرة كل كتاب في موضوع محبيها كتاب النحل والعسل ولابن الأعرابي (توفي سنة ٤٢١) كتاب في الذباب وألف النضر بن شمبل (توفي سنة ٤٢١) كتاباً في خلق الفرس . ويدخل ضمن هذه المرحلة المؤلفات الآتية : الألفاظ الكتابية للهمذاني (١) وفقة اللغة للتعالي والمخصوص لابن (٢) ويطلق على هذا اللون من الجمع اسم المعاجم المبوبة أو معاجم بل هناك من الصفات ما يصعب على الباحث مبتغاه . المرحلة الثالثة : وش هذه المرحلة وضعت المعاجم بحيث يشتم المعجم كل الكلمات العربية على نمط خاص ايرجع إليه من يريد البحث عن معنى كلمة أو حقيقتها أو أصلها ويمكننا القول بأن في القرن الأول الهجري كان بدء التأليف اللغوي وفي القرن الثاني الهجري بدء بتأليف المعاجم العربية ورائد المعاجم العربية الأول هو الخليل بن أحمد ثم توالت بعده الجهود فألف القالي بارعه والأزهري تهذيبه و ابن دريد جمهرته السابقة وهي التي تسمى بالتجربة مبوبة حسب المعالى والموضوعات والمعجم المجنس يلجاً إليه المرء عندما يخفي عليه المعنى أما المعجم المبوب فيلجاً ليه لإيجاد الألفاظ التي تعبر عما يدور في الذهن من خواطر وأفكار منهج العلماء في جمع اللغة : واد اللغة من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وما أثر على . العرب الفصحاء شرعاً ونثراً . وحرضاً منهم على سلامه اللغة أفرطوا في التحرى وتشددوا في إظهار الحق والصواب فلم يدونوا إلا ما صح لديهم سمعاً عن أعراب البايدية الذين شافهوا وعاشوا بين ظهرياتهم، ولذلك لم يأخذوا اللغة من يشك في فصاحة لسانه المخالف للغة غير العرب . ولذلك وجدنا العلماء يفرقون بين القبائل فإذاخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض فقد أورد السيوطي في المزهر أن أبي إبراهيم الفارابي قد حدد في أول كتابه (المسمى بالأنفاظ والحروف) أسماء القبائل التي يحتاج بكلامها وأسماء القبائل التي لا يستشهد بما يسمع منهم فيقول السيوطي نقاً عنه لقد كانت قريش أجود العرب انتقاداً للافصح من الألفاظ وأسهلاً لها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس والذين لخالطتهم للهند منهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهما أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد كان هؤلاء هم الذين منهم أكثر ما أخذ ومعظمهم وعليهم انكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل . وبعض كنانة وبعض الطائين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ولا من سكان البراري ومن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من ظم، لا من جنام المجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغان وأباد المجاورتهم أهل الشام وأكثراً نصارى يقرعون بالعبرانية . ولا من تغلب والقمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاوريين لليونان ولا من بكر المجاورتهم القبط والغرس ولا من عبد القيس وأزد همان لأنهم كانوا بالبحرين مخالفتين للهنود والغرس ولا من أهل اليمن لمحالطتهم تجار اليمنين . المقيمين عندهم . نقية صافية أضف إلى ذلك أنهم توقفوا في جمعهم اللغة وتدوينهم عند زمن معين فارتضوا الأخذ عن فصحاء العرب حتى نهاية القرن الثاني المجري ونظراً لتمكن فصحاء البايدية من اللغة استباح العلماء الأخذ عنهم حتى منتصف القرن الرابع الهجري . وما عدا ذلك لم يأخذوا منه شيئاً بل توقفوا على الأزمنة السابقة ومن أعظم هؤلاء ، العظاماء : الخثعمي ، وأبو خيره المدوى ، وأبو الدقيش - وكان من أفحص العرب - وأبو مهدية الأعرابي وأبو المنتجع